

فن التمثيل فى نظر الإسلام

عبدالعزيز الخياط

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن
عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فان الكتابة فى حكم التمثيل من ناحية شرعية يقتضى أن

نعرف مايلي بايجاز:

أولاً: ما هو التمثيل؟ وما هي طبيعته؟

ثانياً: الغاية من التمثيل

ثالثاً: عناصر التمثيل

رابعاً: أنواع التمثيليات

أ. من حيث الوسيلة

ب. من حيث الأسلوب

ج. من حيث الموضوع

د. من حيث الواقع

"التمثيل وطبيعته"

التمثيل فن من الفنون التي اصطلح على وصفها بالجمال، وهو تقمص دور الآخرين وحالتهم وعرضه على الناس^(١) سواء أكان ذلك بأشخاصهم على خشبة المسرح أو بالتصوير وعرضه في أفلام سينمائية أو تلفزيونية.

أو هو محاكاة للفعل البشرى وتعبير عن أفكار حياتية من قبل الممثلين لغرض امتاع المتفرج أو بقصد الاعتبار بما يحدث. والتمثيلية هي الأفعال والتصرفات التي يؤديها الممثلون على المسرح أو يمثلونها في واقع الحياة وتُصوَّر وتعرض في إحدى وسائل كالسينما والتلفزيون. وقد تسمى الثانية رواية أو فيلما سينمائيا وإذا عرضت في حلقات على شاشة التلفزيون تسمى "مسلسلا"، والتمثيلية التي يؤدي فيها الممثلون الأفعال التي يفعلها الإنسان حقيقة في حياته اليومية فيؤدونها نماذج تمثيلية تكون حسبما تصوَّرها الكاتب أو حوَّرها كاتب الحوار (السيناريو) وأخرجها المخرج، وقد تكون خيالية لا علاقة لها بالواقع من تخيل الكاتب.

والتمثيل لون من ألوان التعبير أو الأداء يعتمد على القول والحركة.

وكلمة التمثيل — لغة — مصدر مثل (بتشديد الشاء) وهي مأخوذة من مثل الرجل (بتخفيف الشاء وفتحها) بين يدي فلان قام بين يديه منتصبا، ومن مثل فلان فلانا صار مثله لسدّ مسدّه، أو شبهه به

وسواه، أو مثل (بضم الـ) مثلاً ومثالة أى قام بين يدي الآخر، فشددت الـ المفتوحة فصارت مثل بمعنى شبه أو صور، أو ناب عنه، والمصدر تمثيل^(٢)، فكان المعنى أنه صورة عنه لا حقيقة، فأخذ هذا المعنى اللغوي فاستعمل في الاصطلاح، وهو أن يقوم شخص مقام آخر يصور حركاته وواقعه حياته بالقول والفعل، وتمثل الشيء تصور مثاله ومنه قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٣) أي تصور على صورة إنسان غير طبيعته الملائكية وعلى هذا فالممثل هو الذى يزاول مهنة التمثيل.

والتمثيلية عمل فني منشور أو منظوم يؤلف على قواعد خاصة ليمثل حادثاً حقيقياً أو مختلفاً^(٤).

وتطلق التمثيلية على "المسرحية" لأنها تعرض على المسرح وهو مكان عرض التمثيلية التي تمثل بالأشخاص لا بالتصوير، والمسرح في اللغة مرعى المسرح (الماشية) فأطلق على مكان العرض لأنه يسرح فيه الممثلون كما تسرح الماشية^(٥).

وطبيعة التمثيل أنه تصوير لا حقيقة، يصور فيها الممثلون حياة الناس وواقعهم أو أشياء خيالية يتدعها الكاتب أو يؤدي الممثلون فكرة كتبها الكاتب بالفعل والحركة أو يعبرون بها عن رأى أو اتجاه كتبه الكاتب، فهي كما قال أحد الكتاب تعتمد على الخيال أو التشخيص أو تحليل النفس البشرية أو تصوير الصراع بين الأشياء نفسياً وحسباً.

"الغاية من التمثيل"

الغاية من التمثيل متعدّدة الوجوه أهمها:

- ١- تسلية الناظر الذي يُسمى (المتفرج)^(٦) و تفريج همّه وتقوية نفسه.
- ٢- الاعتبار بالقصص التي تعرض والاستفادة منها.
- ٣- توضيح كثير من القضايا بأسلوب مؤثر.
- ٤- ملء فراغ الإنسان.
- ٥- تزويد المشاهد بالمعلومات والخبرات بأسلوب قصصي.
- ٦- اجتذاب جمهور الناس بالمفاجآت وتعريفهم بنواحي الحياة من غير تكلف.
- ٧- تعليم الناشئة و تثقيفهم وتوجيههم بالأسلوب التمثيلي.
- ٨- تحقيق مصلحة للأمة ببث الوعي أو القضاء على فتنة أو منع مفسدة.

"عناصر التمثيل"

يقوم التمثيل على عناصر أساسية، وعناصر ثانوية:

فالعناصر الأساسية هي:

الفكرة والموضوع والحركة والشخصيات والحوار.

فأما الفكرة فيقصد بها المحور الذي تدور عليه التمثيلية أي

الهدف الذي كتبت من أجله التمثيلية وتدور حوادثها ومحاوراتها

عليه.

وأما الموضوع فيتنوع: فإمّا أن يكون تربويا أو اجتماعيا أو تاريخيا أو دينيا أو خياليا إلى آخر الموضوعات.

وأما الحركة فتعني أن يظل الممثلون على خشبة المسرح في وقائع الفلم أو المسلسل التلفزيوني في عمل مستمر سواء من حيث الكلام أو التنقل أو القيام بحركات مختلفة تقتضيها التمثيلية، وذلك لجلب انتباه المشاهد واستمرار تعلقه بها وهي ضد الجمود الذي يُبعد المشاهد عن المتابعة ويُضعف التمثيلية.

وأما الشخصيات فيراد بها الممثلون الذين يتقمّمون أشخاص الرواية الحقيقيين أو الذين صورهم الكاتب بما يتناسب وموضوع الرواية من حيث الجسم وشكله وصفته وكلامه ولونه وقدرته، كأن يكون طويلا أو قصيرا أو مربوعا، أو أبيض أو أسود أو ذا عاهة أو قديرا أو ذكيا، أو أحنّ في كلامه أو مبينا فصيحاً أو هادئا أو متسرّعا أو له مكانة في المجتمع ارسقراطيا أو عاديا أو غير ذلك من الصفات ومن حيث قدرة الممثل على الانفعال والحركة والحفظ وأداء الدور إلى آخر الأوصاف اللازمة له.

وأما الحوار فهو أسلوب الكلام الذي يدور بين الممثلين وطريقة أدائه وتناسبه مع الحركة والأداء والتزام الممثل به فلا يخرج عن النص إلا في الحالات الضرورية، ويتناول الحوار لغة الكلام هل يكون لغة فصيحة أم عادية؟ وهل يكون شعرا أم نثرا؟ وكل ذلك بحسب نوع التمثيلية وموضوعها.

والعناصر الثانوية:

يراد بها المنظر والملابس والأثاث والإدارة وشكل المسرح أو المواقع والأماكن التي تمثل فيها الرواية، وقد اعتبر الكتاب الحديثون العناصر هذه أشياء ضرورية لأنها تبرز جوَّ المسرحية وتاريخها وواقعها، أو لا بد منها في الرواية (الفلم السينمائي أو التلفازي).

"أنواع التمثيلات"

تتنوع التمثيلات بحسب وسيلتها أو أسلوبها أو موضوعها أو واقعها.

أما أنواعها من حيث الوسيلة فهي إمَّا أن تكون تمثيلية إذاعية أو تلفازية أو مسرحية أو سينمائية، وكل واحدة منها يحتاج إلى مواصفات معيّنة من حيث المكان والإخراج والملابس والعناصر.

وأما أنواعها من حيث الأسلوب فهي إمَّا مأساة (تراجيديا) أو ملهاة (كوميديا) أو مخوفة (ميلودراما) وهذه هي أبرز الأنواع، ونعني بالمأساة الرواية الجادّة ونعني بالملهاة المُسلِّية المضحكة، ونعني بالمُخوّفة التي تؤدي بالناس إلى الخوف والفرع.

وأما أنواعها من حيث الموضوع فهي إمَّا تاريخية أو واقعية أو اجتماعية أو دينية أو سياسية أو غير ذلك من الموضوعات.

وأما أنواعها من حيث الواقع فإمَّا أن تكون خيالية (رومانسية) تعتمد على التّصوُّر والخيال، ولا يعني أنها لا تتصل بالواقع بل تتصل به اتصالاً ضعيفاً ولكنها تظل دائرة في عالم المُثُل أو الخيال والأحلام

والآمال، وإمّا أن تكون طبيعية أي واقعية (من صميم واقع الناس وحياتهم)، وإمّا أن تكون رمزية تعتمد التعبير الإثاري.

"الحكم الشرعي في التمثيل"

لقد استعرضنا بإيجاز ما يتعلّق بالتمثيل من حيث معناه وطبيعته وغايته وعناصره وأنواعه ليسهل علينا التوصل إلى حكم شرعي فيه معتمدين في ذلك على النصوص الشرعية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والاستنباط منها والاستشهاد بأراء الفقهاء الذين تناولوا هذا الموضوع.

والتمثيل من حيث هو تمثيل يتوقف الحكم في جوازه أو عدم جوازه على الغاية منه والمقصود من القيام به، فإن كانت الغاية نبيلة شريفة، والنية حسنة جاز لقوله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"^(٧) وللقاعدة الشرعية "الأمر بمقاصدها" والمقصود بالنية (وجهة القلب) أو (عزيمة القلب) أو (انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضررّ حالا أو مآلا) وهذا من ناحية لغوية، لكنها من ناحية شرعية تعنى (الإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء مرضاة الله تعالى)^(٨) و (قصد الشيء مقترنا بفعله)^(٩) قال الكرمانى: "والنية في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه لما بعده"^(١٠) لكنني أرى أن المعنى الشرعي واضح في الحديث ويحمل المعنيين معا إذا أن هناك علاقة بينة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، وقد وضحت تنمة الحديث هذا الذي ذهبت إليه، فتمامه كما ورد في صحيح مسلم

"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرت إلى ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرت إلى ما هاجر إليه" والحديث كما ورد في شرح الأربعين حديثا النووية تواتر النقل عن الأئمة بتعظيم موقعه وكثرة فوائده وأنه أصل عظيم من أصول الدين^(١).

ووجه الاستدلال أن النية الفاسدة حرام (وإن كان لا يحاسب العبد على فساده) وما نتج عنها من عمل فهو حرام.

ويستدل لإباحة التمثيل بالنية الحسنة، والغايات النبيلة كالتي ذكرناها في (الغاية من التمثيل) كتحقيق مصلحة للأمة ودرء مفسدة، أو تعليم ناشئة أو تفريج هم، بما صحَّ من إباحة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة حين تعهد لرسول الله بقتل كعب بن الأشرف اليهودي بأن يقول هو وصحبه ما بدا لهم تمثيلاً، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال، "من لي بابن الأشرف؟؟" فقال له محمد بن مسلمة "أنا لك به يا رسول الله، أنا اقتله" قال: فافعل إن قدرت على ذلك، فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب، إلا ما يعلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فدعاه فقال له: "لم تركت الطعام والشراب؟" فقال: يا رسول الله: قلت قولاً لا أدري هل أفى به أم لا؟ فقال: "إنما عليك الجهد" فقال: "يا رسول الله إنه لا بد لنا من أن نقول" قال: "قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك"^(٢) فأباح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُمثّلوا دور الصديق لكعب بن الأشرف حتى يَتَمَكَّنُوا منه.

كما يستدل كذلك بما أباحه النبي صلى الله عليه وسلم لنعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب بأن يمثل دور الصديق الموالي للقبائل التي تحزبت ضد رسول الله فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر نعيم بن مسعود أن يخذل عنه في غزوة الخندق، وأذن له أن يقول^(١٣) (أى: يقول ما يشاء إذا طلب الحيلة والخدعة) والقصة معروفة في كتب السيرة.

ويستدل كذلك على جواز التمثيل بشكل عام بما أورده البخارى في الأدب المفرد تحت (باب من لم ير بحكاية الخبر بأسا) قال: "حدثنا مسرد حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: "لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين بالجعرة ازدحموا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن عبدا من عباد الله بعثه الله إلى قوم فكذبوه وشجوه فكان يمسح الدم عن جبهته ويقول: "اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون" قال ابن مسعود: فكأنني انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي الرجل يمسح عن جبهته"^(١٤).

ويشترط في ذلك أن لا يعتقد الممثل ما يقول إن كان فحشا أو كفرا، وأن يستعمل المعارض ما أمكن في حديثه.

ولا يعترض على الاستشهاد في إذن الرسول صلى الله عليه وسلم في قصة محمد بن مسلمة ونعيم بن مسعود بأن أذن لهما بذلك في الحرب والحرب خدعة، أو أن عملهما كان من المعارض، فمن الواضح أنهما أكثرا في القول ونالا من رسول الله

صلى الله عليه وسلم والمسلمين لغاية نبيلة شريفة وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك^(١٥).

كما يستدل لجواز التمثيل بقوله تعالى في سورة مريم عن جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١٦) أى غير صورته الحقيقية وخرج عليها متمثلاً في صورة البشر، وهذه الآية وإن كانت تذكر واقعة حدثت من جبريل عليه السلام مع السيدة مريم، إلا أن إيرادها في القرآن الكريم من غير إنكار دلّ على الجواز، بل إن ما فعله جبريل هو بأمر الله عز وجلّ.

وورد أن الملائكة تمثّلوا في صورة البشر حين حلّوا ضيوفاً على إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع في أكثر من سورة في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى، قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِئِدٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(١٧)، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾^(١٨) وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(١٩).

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الملك تمثّل بصورة رجل أعمى وأقرع وأبرص، ووجه الاستدلال أنّ تمثّل الملائكة بغير صورتهم الحقيقية تمثيلاً، لأداء دور معيّن هو لغاية نبيلة عرضها

القرآن الكريم أو حدث عنها الرسول الكريم، فدل ذلك على الإباحة.

ويدخل في باب الإباحة هذه من حيث الغاية إذا كانت لتثقيف الناس وتعليمهم وتوجيههم وتدريب أبنائهم أو للعبارة من إيراد القصص ممثلة لأنها أوقع في نفس المشاهد إذا اقترنت الصورة بالكلام، وكون ذلك للاعتبار أباحه القرآن في إيراد القصص في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢٠) وقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢١).

وأود أن أتيّن هنا أن التمثيل متصل بالقصة أو الرواية التي تكتب والتعبير الذي يُقال، فإن كنا ذهبنا إلى إباحة التمثيل بصورة عامة إلا أنه لا بد من أن نوضح أن العناصر الأساسية للتمثيلية تحدّد كذلك ما يجوز وما لا يجوز فيها.

فإن كانت الفكرة التي تدور عليها التمثيلية غير نبيلة أي المقصود بها الإفساد فلا يجوز القيام بها أو عرضها بل لا يجوز تصويرها أصلاً، بخلاف ما إذا كانت الفكرة تحقّق الأهداف النبيلة فذلك جائز، فلا يجوز أن أضع تمثيليةً الغاية منها ترويح مبدأ وثني مخالف للإسلام أو تزيين المنكرات.

وكذلك في الموضوع فيجب أن يكون الموضوع قيماً لا تافهاً، ونبيلاً لا فاسداً، وشريفاً لا ساقطاً، كما لا يصح أن تكون التمثيلية بغير موضوع لأن ذلك عبث والإنسان منزّه عن فعل العبث،

والموضوع الخيالي جائز إذا كان المقصد منه توسعة أخيلة الأطفال لا ترويعهم وتربيتهم على الخير والفضيلة لا على الشرّ والرذيلة. والحركة عنصر من عناصر التمثيلية فلا بد أن تكون حركة هادفة تنسجم مع غايات المسرحية أو التمثيلية وموضوعها، ومثل ذلك الحوار وسواء أكان شعرا أم نثرا فهو جائز والعبرة بمضمون الكلام ومتناوله فلا يجوز الإسفاف والتدنّي فيه.

وهنا لا بدّ. من بيان أمور لا يجوز أن يشتمل عليها التمثيل إذا أردنا للمسرح أو الفلم أو المسلسل أن يؤدي دوره في رقي الأمة وتهذيب الأخلاق وتسليّة الناس وثقيفهم.

فأولها:

لا يجوز أن يقوم بفعل مناف لأوامر الله ونواهيه كمواقعة المرأة على أنها زوجته تمثيلا، أو تقبيلها أو ضمّها، أو القيام بشرب الخمر فعلا أو تعاطي المخدرات، جاء في فتاوى المرحوم الدكتور أحمد الشرباصي قوله "أما إذا تضمّن التمثيل - سواء أكان سينمائيا أم مسرحيا - إثارة للغرائز أو تهجّما على العقائد، أو تطاؤلا على الفضائل أو تحبّبا للردائل، أو عرضا لما لا يجوز عرضه أو إبداءه أو كشفه فإن التمثيل في هذا الوضع يكون حراما، لأنه يؤدي إلى الفساد والشرّ، وما يؤدي إلى الحرام فهو حرام آخذا بالمبدأ المعروف وهو مبدأ سدّ الذرائع^(٢٢).

وثانيها:

لا يجوز اختلاط الرجال بالنساء اختلاطاً يتنافى مع الخلق وأفرق هنا بين الاختلاط والاجتماع، فالاجتماع لقاء المرأة بالرجل لأمر مشروع كالبيع والشراء والتعلم شريطة أن لا يكون في ذلك خلوة، أما الاختلاط فهو الخلوة المحرّمة، أو الاجتماع على أمر غير مشروع كالرقص أو تعاطي المخدرات.

وقد فرق الإمام محمد رشيد رضا بين تمثيل النساء وتمثيل الرجال فقال: "إن التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز، لأن ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز أو لأن درء المفسد مُقدّم على جلب المصالح، إن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرّمة: منها: ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحلّ كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالي الصدر والذراعين والعضدين، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة، فلا حاجة لذكر النصوص فيه. ومنها الاشتراك مع الرجال الممثّلين في أعمال تكثُر في التمثيل، وإن لم تكن من لوازمه في كل قصّة كالمعانقة والمخاصرة والملاسة بغير حائل، ومنها: غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرّم بما فيه من الأعمال المحرّمة لذاتها أو لكونها ذريعة إلى المحرّم لذاته (٢٣).

غير أنه ذهب إلى جواز أن تبرز المرأة في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله إبداءه من بدنها، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرائعه، بل اعتبره بهذه الشروط مستحبا، ومثّل لذلك بأن تمثّل الخنساء (رضي الله عنها) في حثّ أبنائها على القتال بالنظم والنثر، ويختم فتواه بقوله "ولكن إمكان وضع مثل هذه القصة - وهو من الممكنات التي لم تقع" لا يُبني عليه القول بإطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على ما ذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعا" (٢٤).

وثالثها:

أن لا يقوم الممثل باعتداء حقيقي على ممثل آخر مما قد يتسبب من ذلك الفعل أذى حقيقي لتحريم الإسلام الاعتداء على الآخرين ولو بالتراضي لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٢٥).

ورابعها:

أن لا تشتمل التمثيلية على ما يروع الناس ويخوفهم بغير الله عز وجلّ لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلما" (٢٦)، وفي رواية أخرى "لا يحل لرجل أن يروع مسلما" (٢٧) وفي رواية ثالثة "لا يحل لمسلم أو مؤمن أن يروع مسلما" (٢٨).

وخامسها:

أن يتجنب الممثلون تعريض أنفسهم لمخاطر التهلكة كتسلق الجبال الخطرة أو التعرض للحيوانات الكاسرة، أو إلقاء أنفسهم من

الطائرة، ما لم يكن هناك وقاية تحول بين الممثل وبين هلاك نفسه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ والاستشهاد بمعناها العام ولا يمنع أن تكون نزلت بمعنى الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، كما فهم منها مرة عمرو بن العاص رضي الله عنه فيما رواه عبدالرحمن الأسود بن عبد يغوث أنهم حاصروا الشق فانطلق رجل من أزد شنؤة فأسرع إلى العدو وحده ليستقبل، فعاب ذلك عليه المسلمون، ورفعوا حديثه إلى عمرو بن العاص فأرسل إليه عمرو فردّه، وقال عمرو: قال الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢٩).

وسادسها:

أن يتعد الممثلون عن الحلف بالله كاذبا أو الحلف بغير الله، أو أن يصدر عن الممثل أي استهزاء بالإسلام أو كفر به إلا في موقف نقل الكافرين أو المستهزئين ويرد عليهم حتى لا يظن أن ذلك هو الحق. كما يجب الابتعاد عن الاستهزاء بالعلماء أو الصالحين كما نجده في بعض الأفلام، كما لا يجوز عرض المسائل الشرعية المتفق عليها بصورة تشوّه وجه الإسلام كما يحصل في بعض الأفلام التي تتعرض لأحكام الإسلام في الزواج والطلاق وتعدّد الزوجات.

وسابعها:

لا يجوز تمثيل الأنبياء والمرسلين بأي شكل من الأشكال لأن ذلك يعطي انطبعا عن صورة النبي أو الرسول على غير حقيقتها، إذ لا يمكن لأي إنسان أن يعطي الصورة الكاملة عن الرسول، وبخاصة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون يعلمون أن صورة النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكون في الاقتداء به في أفعاله "صلُّوا كما رأيتموني أصلي" و "خذوا عني مناسككم" فصورته عليه الصلاة والسلام مطبوعة في قلوب المسلمين وأفعالهم ولأن الأنبياء معصومون فلا يصدر عنهم الخطأ، ولا يمكن تمثيل الكامل المعصوم.

ونحن نوافق في هذا ما رآه الشيخ محمد رشيد رضا في فتاواه من عدم جواز تمثيل الأنبياء والمرسلين وإن كنا نختلف معه في تعليل ذلك، فقد علل ذلك بوجوه نذكرها مختصرة:
أولها: أن العرف الإسلامي العام يعدّ تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزرية بقدرهم.

وثانيها: أن أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة، وأن تمثيلهم يؤدي إلى الاستهزاء بهم لا سيما إذا خوطب أحد الممثلين بقولهم "يا رسول الله" استهزاء بعد انتهاء التمثيل.

وثالثها: أن تمثيل الرسول في حالة أو هيئة تزري بمقامه محظور، كتمثيل يوسف عليه السلام بدور مملوك تراوده سيدته عن نفسه وتقدُّ قميصه من دبر.

ورابعها: من خصائص القصص التمثيلية الكذب والكذب على الأنبياء ليس كالكذب على غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ عامدا متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" (٣٠).

وهذه الوجوه التي ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا فيها نظر، فإن العرف إذا تغير فلم يعتبر تمثيل الأنبياء إهانة، هل نبيح تمثيل الأنبياء؟ أو أنه لو قام بتمثيل دور النبي إنسان مستقيم ورع، هل نبيح تمثيل الأنبياء؟ وهل إذا مثل دور النبي للعبة والاعتبار في جزء من حياة النبي في الدعوة نقبل تمثيل الأنبياء؟ وهل إذا لم يكذب علي رسول الله يجوز تمثيل دوره؟ لا أرى في هذه الوجوه مقنعا لتكون علة للتحريم وإنما هو ما ذكرناه آنفا.

تمثيل الصحابة:

وقد اختلف في تمثيل ما عدا الأنبياء والمرسلين من الصحابة الكرام، فبعض العلماء، قال بجواز ذلك كالشيخ محمد رشيد رضا فقد سئل: هل يجوز تمثيل حياة بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل لأجل الاتعاض بسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته ودون اخلال بها من أيّ وجهة كانت أم لا؟ فأجاب: لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل حياة بعض الصحابة أو أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال^(٣١). وبعض العلماء قال بالتحريم، ولا أرى ما يمنع تمثيل الصحابة لعدم عصمتهم، وإن كنا نعظمهم ونقدر أعمالهم وتمثيلهم ينبغي أن يكون تصويرا لجوانب العظمة فيهم لا سيما في أمور التربية والجهاد والعدل وغيرها.

تمثيل المزاح والحكايات المضحكة والروايات الكاذبة:

وهنا مسألة تعرض لها الفقهاء وهي مسألة الحكايات المضحكة وإيراد الأكاذيب لإضحاك الناس، والمزاح، فقد تشتمل التمثيليات على شيء من ذلك فما هي الحدود المشروعة لهذا؟

أولاً: ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "ويل للذي يُحدّث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له" (٣٢)، كما ورد عن عبدالله بن مسعود قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شرار الروايا روايا الكذب، ولا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا يَعدُّ الرجل ابنه ثم لا ينجز له" (٣٣) ففهم الفقهاء من هذا عدم جواز الرواية المكذوبة لإضحاك الناس بها، فقد جاء في الإقناع: "ومن ذلك (أي ومما يقدر في عدالة الشاهد) إكثار حكايات مضحكة بين الناس بحيث يصير ذلك عادة له، وخرج بالإكثار من لم يكثر أو كان طبعاً لا تصنعاً كما وقع لبعض الصحابة" (٣٤).

فمن هنا نجد أن التمثيلية التي يكون فيها الكذب لإضحاك الناس بحكايات مخترعة كاذبة لا تمثل واقعا غير جائزة، أما إذا كانت حكايا واقعة جاز تمثيلها ويستحسن أن تكون لهدف يعتبر منه الناس، وأن لا تخرج عن الآداب والأخلاق الإسلامية.

ثانياً: إن المزاح في التمثيليات إذا كان من المعارض، فجائزة هذه التمثيليات، والمقصود بالمعارض الكنايات، فقد روى أنس

بن مالك أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "احملي"، فقال عليه الصلاة والسلام "إنا حاملوك على ولد الناقة" قال: ما اصنع بولد الناقة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هل تلد الإبل إلا النوق؟^(٣٥)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأنس بن مالك "يا ذا الأذنين" وروى البخارى في الأدب المفرد عن بكر بن عبد الله قال: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتباحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال"^(٣٦) فدل ذلك على جواز التمثيل بالمعاريض وبما لا يتنافى مع الخلق أو يكون في حقوق الله عز وجل لأنه يعدّ من الخوض والاستهزاء وقد نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَا لِلَّهِ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٣٧) وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما بال أقوام يلعبون بحدود الله ويستهزئون بآياته"^(٣٨).

كلمة أخيرة:

بعد أن بينا ما نراه في حكم التمثيل، وما نرى اليوم من استفعال أمره، وانتشار الروايات والتمثيلات والمسلسلات والمسارح، وتنوع وسائل العرض من المسارح ودور العرض (السينما) ومحطات التلفاز وسهولة نقلها من خلال الأقمار الصناعية واهتمام الدول والحكومات والشركات والأفراد بالإنتاج والإخراج

وعدم مبالاتهم بما يخرجون أو ينتجون من الأفلام والمسلسلات
والتمثيليات والروايات وما تعرضه من الأنواع المحرمة والمنافية
للآداب والمستهترة بالقيم والتعاليم الإسلامية والدينية، وتجروء كثير
من المخرجين على تمثيل الأنبياء كالمسيح عليه السلام.

ما هو موقفنا أمام هذا الركام من الآف المسارح والتمثيليات

ودور السينما ومحطات التلفاز وغيرها...؟

إنه لبلاء استشرى، وفساد انتشر وعمّ وما علينا إلا أن نبين
حكم الله عزوجل وأن ينبرى المؤمنون المخلصون بإخراج التمثيليات
والأفلام الهادفة المتفقة مع تعاليم ديننا وقيمنا وأخلاقنا، وإن كان
ذلك لا يجدي الجدوى المطلوبة ولا يحقق ما نبغي إلا أن يتداركنا
الله برحمته في تبني دول الإسلام وحكوماته الخط المستقيم المعتدل
فتتدخل لحماية الأمة من الأفلام الإباحية والتمثيليات الرخيصة
والمسلسلات الهابطة.

والله نسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يهدينا سواء

السبيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

هوامش

- ١- فن الممثل العربي لزكي طليمات، ١٧.
- ٢- المعجم الوسيط، ٨٥٣/٢.
- ٣- سورة مريم - آية: ١٧.
- ٤- المعجم الوسيط، ٨٥٤/٢.
- ٥- مسرح اضبط من مسرح لأنها مكان سرخان الماشية بينما مسرح من رشح بمعنى قل لحمه فلا علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي إلا إذا أخذنا بالتقديم والتأخير فنقول مسرح بدلا من مسرح كما نقول من كل فجّ معيق بدلا من عميق ومعلقة بدلا من ملعقة.
- ٦- المتفرج لغة من التفرج وهو التسلي بمشاهدة الشيء ليطرح همه.
- ٧- رواه البخارى عن عمر بن الخطاب.
- ٨- صحيح البخارى بشرح الكرمانى ١٨/١، المطبعة المصرية سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
- ٩- شرح الأربعين حديثا النووية للشيخ إبراهيم الشبرخيتي ٩٢، المطبعة الأزهرية سنة ١٣٨٠هـ.
- ١٠- صحيح البخارى بشرح الكرمانى، ١٨/١.
- ١١- شرح الأربعين حديثا النووية، ٩٣.
- ١٢- السيرة النبوية لابن هشام ٥٤/٣.
- ١٣- امتاع الأسماع للمقرئى، ٢٣٧/١.
- ١٤- ورواه الإمام أحمد في مسنده.
- ١٥- انظر كتاب (الشريعة الإسلامية والفنون) لأحمد مصطفى علي القضاة، ٣٤٠، مخطوطة ماجستير.
- ١٦- سورة مريم، آية: ١٧.
- ١٧- سورة هود، آية: ٦٩-٧٠.
- ١٨- سورة الحجر، آية: ٦٠-٦١.

- ١٩- سورة العنكبوت، آية: ٣٣.
- ٢٠- سورة يوسف، آية: ١١١.
- ٢١- سورة الأعراف، آية: ١٧٦.
- ٢٢- كتاب "يسألونك" للدكتور أحمد الشرباصي، ١/٦٤٤.
- ٢٣- فتاوى الإمام محمد رشيد رضا ٤/١٤٢٠، طبع دار الكتاب الجديد، لبنان سنة ١٩٧١م، وجمع وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.
- ٢٤- فتاوى الإمام الشيخ محمد رشيد رضا، ٤/١٤٢٠.
- ٢٥-
- ٢٦- رواه الطبراني والحاكم وصححه كما رواه ابن ماجة.
- ٢٧- رواه أبو داؤد.
- ٢٨- رواه البزار من حديث ابن عمر مختصرا.
- ٢٩- تفسير ابن كثير، ١/٢٢٩، طبعة الحلبي بمصر.
- ٣٠- رواه الشيخان في الصحيحين من حديث سعيد بن زيد، وروى عجزه متواترا انظر فتاوى الإمام محمد رشيد رضا، ٢/١٤٢٣.
- ٣١- فتاوى الإمام محمد رشيد رضا، ٦/٢٣٤٨.
- ٣٢- رواه الدارمي في سننه، ٢/٣٩٦.
- ٣٣- رواه الدارمي في سننه، ٢/٢٩٩.
- ٣٤- كتاب (الإقناع في حل الفاظ أبي شجاع) للشرييني، ٢/٢٨١.
- ٣٥- رواه أبو داؤد في سننه والبخارى في الأدب المفرد.
- ٣٦- الأدب المفرد للبخارى.
- ٣٧- سورة التوبة، ٦٥.
- ٣٨- انظر كتاب "الشريعة الإسلامية والفسون" لأحمد مصطفى القضاة مخطوطة صفحة ٢٥٤، وما قبلها وما بعدها.

